

شرح رياض الصالحين

شرح باب التعاون على البر والتقوى
من كتاب رياض الصالحين

شرح حديث ابن عباس:

أَنَّ امْرَأَةً رَفَعَتْ صَبِيًّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَقَالَتْ: أَلْهَذَا حَجٌّ؟

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ: «مَنْ الْقَوْمُ» قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ اللَّهِ»، فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةً صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلْهَذَا حَجٌّ! قَالَ: «نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ سَمَاحَةُ العَلَّامَةِ الشَّيخِ ابْنِ عَثِيمِينَ - رَحِمَهُ اللهُ - :-

قَالَ المَوْئِلْفُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِيمَا نَقَلَهُ عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَكْبًا بِالرُّوحَاءِ، وَ«الرُّوحَاءِ» مَكَانٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَكَانَ هَذَا فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ، فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: فَمَنْ أَنْتِ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللهِ» فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلْهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ» فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا سَاقَهُ المَوْئِلْفُ مِنْ أَجْلِهِ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَعَانَ شَخْصًا عَلَى طَاعَةِ فَلِهِ أَجْرٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ سَوَّفَ تَقُومُ بِرِعايَةِ وَلَدِهَا إِذَا أَحْرَمَ، وَفِي الطَّوَّافِ، وَفِي السَّعْيِ، وَفِي الْوُقُوفِ، وَكُلِّ شَيْءٍ، قَالَ: لَهُ حِجٌّ وَلِكِ أَجْرٌ.

وَهَذَا كَالَّذِي سَبَقَ فِيمَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا أَوْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُ أَجْرُ الْغَازِي.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْأَلَ عَمَّا يَجْهَلُهُ إِذَا دَعَتْ الْحَاجَّةُ إِلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ: «مَنْ الْقَوْمُ؟» يَخْشَى أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْعَدُوِّ فَيَخُونُوا أَوْ وَيَغْدُرُوا، أَمَا إِذَا لَمْ تَدْعِ الْحَاجَّةُ إِلَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ أَنْ تَسْأَلَ

عن الشخص، فتقول: من أنت؟ لأن هذا قد يكون داخلاً فيما لا يعنيك، و«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»، لكن إذا دعت الحاجة فاسأل حتى تكون على بينة من الأمر وعلى بصيرة.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن وصفَ الإنسانِ نفسه بالصفات الحميدة إذا لم يقصد الفخر وإنما يقصد التعريف لا بأس به؛ لأن هؤلاء الصحابة لما سئلوا: من أنتم؟ قالوا: مسلمون، والإسلام لا شك أنه وصف مدح، لكن إذا أخبر الإنسان به عن نفسه، فقال: أنا مسلم، أنا مؤمن، وما أشبه ذلك لمجرد الخبر لا من أجل الافتخار فإن ذلك لا بأس به، وكذلك لو قاله على سبيل التحدث بنعمة الله فلو قال: الحمد لله الذي جعلني من المسلمين، وما أشبه ذلك فإنه لا بأس به، بل يكون محموداً إذا لم يحصل فيه محذور.

وفيه دليلٌ أيضاً على أن الإنسان ينبغي له أن يفتنم وجود العالم؛ لأن هؤلاء القوم لما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رسول الله، جعلوا يسألونه، فينبغي للإنسان أن يفتنم فرصة وجود العالم من أجل أن يسأله عما يشك عليه.

ومن فوائده أيضاً: أن الصبي إذا حج به وليه فله أجر، والحج يكون للصبي لا للولي، وقد اشتهر عند عامة الناس أن الصبي يكون حجة لوالديه، وهذا لا أصل له، بل حج الصبي له، لقول النبي صلى الله عليه وسلم، لما قالت المرأة؟ ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر»، فالحج له، وليعلم أن الصبي بل كل من دون البلوغ يكتب له الأجر ولا يكتب عليه الوزر.